قالت السيدة زينب مخاطبةً ابن أخيها الإمام زين العابدين عليهما السلام: **(.... وَ يَنْصِبُونَ لِهَذَا الطَّفِ عَلَماً لِقَبْرِ أَبِيكَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ لَا يَدْرُسُ أَثَرُهُ وَ لَا يَعْفُو رَسْمُهُ عَلَى كُرُورِ اللَّيَالِي وَ الْأَيَّامِ، وَ لَيَجْتَهِدَنَّ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَ أَشْيَاعُ الضَّلَالَةِ فِي مَحْوِهِ وَ تَطْمِيسِهِ فَلَا يَزْدَادُ أَثَرُهُ إِلَّا ظُهُوراً وَ أَمْرُهُ إِلَّا عُلُوّا)**[1].

قد عشنا خلال الأسبوع الماضي حدث من أهم الأحداث بل هو الحدث الأبرز و هو مسيرة الزيارة المليونية لمقام سيد الشهداء صلوات الله و سلامه عليه، فأرى لازماً علينا الحديث بشكل مقتضب عن هذا الحدث المهم و العظيم.

و سوف أتحدث في نقطتين:

- **النقطة الأولى**: عن ما هو الوجه الصحيح لتسمية يوم العشرين من صفر؟ هل تسميته يوم الأربعين[2] أو يوم رد الرأس؟

و طبعاً الحديث ليس على المستوى الفقهي من ناحية الجواز و عدم الجواز، و إنما من منطلق بُعد آخر لا ربط له بناحية البعد الفقهي.

أقول الأَوْلى تسميته بيوم رد الرأس، و السبب أن نفس التسمية و العنوان يحمل في طياته دليل الحدث، فنحن عندما نقول يوم العشرين من صفر هو يوم رد الرأس الشريف، فمعنى ذلك أن في هذا اليوم حدث حدثٌ مهم كبير و هو رد رأس الحسين (ع) إلى جسده، و رد سائر رؤوس أصحابه إلى أجسادهم.

فالتسمية و العنوان يوفران على الأجيال حالة التشكيك و الاستغراب من الحدث، فلو تبدل هذا العنوان إلى يوم الأربعين و طغت هذه التسمية و ضاع ذلك الاسم و طغت التسمية الجديدة، فسوف ينشأ بعد مائة عام جيل جديد عندما يقال يوم العشرين من صفر هو يوم رد الرؤوس سوف يعيش حالة الاستغراب و التساؤل، فيكون تبديل التسمية نوع من إضاعة الدليل و المستند على هذا الحدث المهم، كما أن المحافظة على التسمية حفاظ على الدليل و المستند.

و هذه القضية و هي رد الرأس الشريف هو الرأي المشهور و المعروف بين علماء الطائفة و مراجعها و محققيها، قال الشيخ الصدوق في كتابه الأمالي: (حدثني بذلك محمد بن علي ماجيلويه (رحمه الله)، عن عمه محمد بن أبي

---

(١) جامع أحاديث الشيعة ج١٢، باب ٥٧ من أبواب زيارة المعصومين عليهم الصلاة والسلام وما يناسبها، ح٥، ص٤٣٩.

(٢) و ما ورد في الرواية عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ظاهر في تسمية الزيارة، و ليس ظاهر في تسمية اليوم، و لا منافاة من تسمية اليوم برد الرأس و زيارة الأربعين.

القاسم، عن محمد بن علي الكوفي، عن نصر بن مزاحم، عن لوط بن يحيى، عن الحارث بن كعب، عن فاطمة بنت علي (صلوات الله عليهما): ثم إن يزيد (لعنه الله) أمر بنساء الحسين (عليه السلام) فحبسن مع علي بن الحسين (عليهما السلام) في محبس لا يكنهم من حر ولا قر حتى تقشرت وجوههم، ولم يرفع ببيت المقدس حجر عن وجه الأرض إلا وجد تحته دم عبيط، وأبصر الناس الشمس على الحيطان حمراء كأنها الملاحف المعصفرة، إلى أن خرج علي بن الحسين (عليهما السلام) بالنسوة ، ورد رأس الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء)[٣].

و نفس هذا المضمون ذكره القرطبي في كتابه التذكرة بأحوال الموتى و أمور الآخرة، قال بعد كلام له: (... والإمامية تقول: إن الرأس أعيد إلى الجثة بكربلاء بعد أربعين يوماً من المقتل، وهو يوم معروف عندهم يسمون الزيارة فيه زيارة الأربعين)[٤]، و القرطبي هو أندلسي من أعلام القرن السابع توفي سنة ٦٧١ هـ.

و قال أبو ريحان البيروني محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي المتوفى سنة ٤٤٠ هـ في كتابه المعروف الآثار الباقية عن القرون الخالية: (.... و في العشرين رد رأس الحسين إلى جثته حتى دفن مع جثته، و فيه زيارة الأربعين....)[٥].

ففي النص الأول عن القرطبي بعد أن رجّح هو أن الرأس أرسله يزيد إلى المدينة و ذكر قول الإمامية مشعراً باتفاقهم و إجماعهم حيث قال: (والإمامية تقول).

و أما نص البيروني و هو من أعلام القرن الرابع الهجري فقد نقل ذلك من دون أن يذكر خلافاً أو يشير إلى رأي مخالفه في المسألة، مما يدل على انعقاد إجماع على رد الرأس الشريف في يوم العشرين و دفنه في كربلاء مع الجسد الشريف صلوات الله على رأسه و جسده.

و قال القزويني في كتابه عجائب المخلوقات و الحيوانات و غرائب الموجودات، قال بعد ذكر سبب تسمية صفر: (سمّي صفراً لأن الرباع كلها كانت تصفر من أهلها لأنهم خرجوا للقتال لانقضاء الأشهر الحرم، و ذهب الجمهور إلى أن القعود في هذا الشهر أولى من الحركة، و روي عن النبي (صلى الله عليه و آله) أنه قال: من بشرني بخروج صفر أبشره بالجنة، اليوم الأول منه عيد بني أمية أدخلت فيه رأس الحسين بدمشق، و العشرون منه ردت رأس الحسين رضي الله عنه إلى جثته ...)[٦].

---

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق، ص١٦٧ – ١٦٨، المجلس ٣١، ح٤.

(٤) التذكرة بأحوال الموتى و أمور الآخرة، ص١١٢٢.

(٥) الآثار الباقية ج١ ص٣٣١.

(٦) عجائب المخلوقات و الحيوانات و غرائب الموجودات، ص٦٨.

أقول: فرواية الصدوق و هو من أكابر محدثي الإمامية نقل الرواية عن فاطمة بنت أمير المؤمنين عليه السلام، و صرح جمع من المؤرخين منهم القرطبي و البيروني و القزويني على ما يستفاد من كلماتهم إجماع و اتفاق الشيعة على كون يوم العشرين هو يوم رد الرأس الشريف، و لو تنزلنا عن قضية دعوى الإجماع فهي مسألة مشهورة و معروفة.

و يكفي الشهرة في القضايا التاريخية، و هي مستند عقلائي يرجع إليه في مثل القضايا التاريخية، و يعول عليها بحيث أن الشهرة في القضايا التاريخية تسقط ما يقابلها من قول شاذ أو رواية، بل حتى لو كان هناك خبر معتبر فإن شهرة القضية قد تسقط الخبر و لو كان معتبراً، و هذا يلاحظ فيه العوامل الذاتية في داخل الخبر، فقد تكون الشهرة بنحو توجب الاطمئنان فتسقط ما يقابلها و لو كان خبراً معتبراً، فضلاً عن الخبر الضعيف أو مجرد الاستبعاد المحض، و قد يكون الخبر بحسب عوامله الداخلية أقوى من الشهرة و هذا ما يلاحظه أهل الاختصاص من العلماء و المحققين، فلا يصغى إلى المشككين كما أجاب سماحة المرجع الأعلى دام ظله الشريف.

- **النقطة الثانية**: لهذه الزيارة جملة من الدلالات و نحن نريد أن نستنطق دلالة من دلالات هذه الزيارة، و هو ظاهرة استقطاب الزيارة لهذا التنوع العرقي و المذهبي و الانتمائي، بحيث استقطبت زيارة سيد الشهداء عليه السلام جميع التلونات البشرية من دينية و عرقية و مذهبية و غيرها، و في ذلك دلالة واضحة على أن قضية أهل البيت عليهم السلام و ما تمثلها و هي مظلومية الحسين و استشهاده، توفر ما يصلح أن يجمع البشرية كلها، و تمتلك قضية أهل البيت عليهم السلام ما يقدر على توحيد و تجميع البشر، فإذن نحن المسلمون لو لم نعتقد بعصمة الإمام الحسين عليه السلام و أنه إمام مفترض الطاعة فلا أقل أنه صحابي سبط رسول الله (صلى الله عليه و آله) شهيد مظلوم، فلنا أن نجتمع على محور و مبدأ قضية الحسين (عليه السلام) و ظلامته صالحة لأن تكون محوراً يجمع الأمة.

و قد بانت بوادر هذا الإقبال على محورية سيد الشهداء (عليه السلام) من خلال هذا التجمع المليوني الذي استقطب هذا التلون البشري، و في ذلك تأكيد لما جاء في نصوص أهل البيت عليهم السلام و تأكيد على تلك الحقيقة (بنا فتح الله و بنا يختم) فكما إن المشروع الإلهي بأهل البيت قد فتح، فهذا المشروع بأهل البيت يختم، و كما هو ثابت في علم الله الأزلي أن الذي يصلح و يكون مؤهلاً لهذا المشروع الإلهي هم أهل البيت عليهم السلام بدءاً و ختماً.

و أقول: لا نتضايق من هذا التجاهل الإعلامي الذي يسعى لتغطية أتفه الأحداث و أدونها، و يتجاهل في وسائله الإعلامية ذكر خبر الزيارة و تغطيتها، و لكن لن يستطيع هذا التجاهل محاصرة فكر الحسين و قضيته، ففكر الحسين و قضيته قد بلغت أقاصي المعمورة و هي عهد تكفل الله به، فلا يمكن لمحاصرة إعلامية أن تحجم من امتداده.

حرره العبد الفقير محمود بن الحاج حسن آل الشيخ العالي.